قبل الولادة وبعد الموت

اقترحنا على حضرة الاب سالحاني مكاتب مجلة المشرق ان يرشدنا الى حل المسائل التالية وهي : —

(١) اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امهِ

(٢) في اي وقت تدخل جسم الجنين

(٣) هل تكون حينئذٍ كاملة في كل مداركها

(٤) الى اين تذهب بعد موتهِ

وطلبنا منهُ لرفع الاشكال واتمام الايضاح ان يفرض رجلاً معيناً مثل احمد باشا الجزار او الامير بشيراً الشهابي المعروف بالمالطي او يوسف بك كرم ويوضح لنا اين كانت نفسهُ قبلما تكوَّن في بطن امهِ وفي اي وقت حلَّت في جسمهِ وهل كانت حينئذٍ كاملة في كل مداركها والى اين ذهبت بعد موتهِ مثبتاً ذلك بادلَّة كتابيَّة او غير كتابيَّة

فاجابنا في مجلة المشرق بمقالة طافحة بدلائل ادبهِ وتقواهُ والشيءُ من معدنهِ لا يستغرب وقال بعد كلام طويل لا يهمنا الالتفات اليهِ ما يأتي

" اولها : « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امهِ » . فالجواب هو ان النفس قبل تكوُّن الجنين في بطن امهِ لا وجود لها البتة بل هي في عدم . انما يخلقها الله وأسَّا حال تكوُّن الجنين . نبيِّن ذلك بتشبيهٍ قريب لا يمكن للمقتطف ان ينكرهُ . هذه المادَّة التي تكوَّن منها العالم الارض والقمر والشمس والنجوم نسأل المقتطف أهي مخلوقة ام غير مخلوقة . فاذا قال انها مخلوقة فنسألهُ اين كانت قبل ان يخلقها الله . وان قال انها غير مخلوقة فيكون قد سلم بقول الدهريين والطبيعيين والماديين وهو قول الكفر لانهُ يجعل المادة ازلية اي يجعلها الله وينفي الاله الحقيقي . والعجب كل العجب ان الماديين يسلِّمون بمادة ازلية تكوَّن منها العالم ولا يسلِّمون بعقل ازلي كلي الكمال هو الله . ومن ثمَّ فلا بدَّ للمقتطف من الجواب بان الله خلق المادة من العدم اي انهُ لم يكن لها وجود قبل ان تخلق ولم تكن في محلّ بل كانت عدماً . وهكذا نقول عن النفس . فانها قبل ان يتكوَّن الجنين في بطن امهِ كانت عدماً اي غير موجودة لم تكن في محلّ وانما اوجدها الله اي خلقها لتتحد بالجنين حال ابتداء تكوُّنهِ وعليهِ فسؤال المقتطف « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امهِ » هو باطل لا معنى لهُ ولا فائدة إن علم الحقيقة

" والبرهان على ان الله يخلق رأساً النفس حال ابتداء تكوّن الجنين بيّن . لان النفس بما انها بسيطة لا اجزاء لها فلا يمكن ان توجد بان تشتق من نفس الام . وبما انها روحية وعقلية فلا يمكن ان توجد بان تستخرج من المادة . فلم يبقَ الا ان يخلقها الله رأساً كما خلق المادة

" السؤال الثاني : " في اي وقت تدخل (النفس) جسم الجنين " . قبل ان نجيب على هذا السؤال نقول ان الكلمة " دخل " التي استعملها المتعطف ليست مناسبة ولا صوابية لان النفس لا تدخل في الجسم كأنها ضمنهُ ويحتوي عليها . فليست في الجسد كالماء في الاناء او كالخطة في الكيس . بل هي متحدة بالجسم اتحاداً جوهرياً فيتكوّن من النفس والجسم شخص واحد هو شخص الانسان

" فبعد ان قدّمنا هذه الملاحظة نجيب اولاً : على افتراض انهُ لا يمكننا ان نعيّن ونحدّد الوقت الذي فيهِ تتحد النفس بالجسم فهذا لا ينفي وجودها واتحادها بهِ . كما انهُ لا يسوغ للعالم في العلوم الطبيعية ان ينفي وجود المادة ان لم يتمكنهُ ان يعين الوقت الذي فيهِ خلقت . وكما لا يجوز لهُ ان ينفي الشمس ان لم يتمكنهُ ان يعين ويحدّد الوقت الذي فيهِ كوّنت . وكما لا ينفي احد الحريق المشتعل في غابة او في بناية وان لم يتمكن من تعيين الساعة التي فيها ابتدأ

" نجيب ثانياً : ان النفس يخلقها الله رأساً حالما يصير الحبل اي حالما يتم تلقيح البويضة هذا هو اشهر تعليم العلماء سواء كانوا لاهوتيين او فلاسفة او اطباء . ومن ثم تميز النفس جسم الجنين في كونهِ جنين انسان عاقل لا جنين حيوان غير عاقل

" السؤال الثالث : " هل تكون (النفس) حينئذٍ كاملة في كل مداركها "

" الجواب : ان مدارك النفس تستلزم بعض النمو في الجسم وكمال الجهاز الحسي والدماغ لان النفس في حال اتحادها بالجسم لا تدرك الا بالحواس او بعد ان تكون الحواس تمت وظائفها اي شعورها . فالنفس تدرك الماديات ويشترك الحس بهذا الادراك . وتدرك غير الماديات اي تعلم بشرط ان يرافق معرفتها شعور حسي او تخيُّل حسي فانها تجرّد من الشعور الحسي موضوع ادراكها العقلي اي المعاني . وعليهِ فطالما لم تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال لا يمكن لقوى النفس ان تخرج الى حيز العمل . تكون كالنار المكامنة تحت الرماد التي تضطرم وتلتهب حين يكشف عنها الرماد ويُلقى عليها الوقود . ويحسن ان نوضح ذلك بتشابيه اخرى : ان شجرة النخلة مثلاً لما تكون نبتة صغيرة تكون كاملة في

جنسها . ومع ذلك طالما لم تبلغ النموّ اللازم لا تزهر ولا تثمر . وهذا النموّ اللازم يختلف في النبات والاشجار المختلفة . والولد هو كامل في جنسهِ الانساني لا يقوى على التناسل طالما لم يبلغ مع ان فيهِ مبادئ قوة التناسل ومبادئ النطق كامنة في الرضيع ولا تظهر بالفعل الا بعد مدة . فهذه التشابيه تقرّب الى فهم ما يخص قوى النفس ومداركها . فانها موجودة فيها كامنة تشتبه شيئاً فشيئاً مع تمر الجسم وتهيوء الحواس والدماغ لمساعدة النفس في ادراكها . وهذا لا يتمّ الا بعد زمن من الولادة . لتدرك بالحواس وتدرك بالعقل بان تجرّد من الشعور الحسي موضوعها العقلي اي المعاني . ومن هنا المعرفة الحسيَّة التي تشترك فيها مع الحيوانات . والمعرفة العقليَّة المختصة بالانسان

" السؤال الرابع : " الى اين تذهب (النفس) بعد الموت "

" الجواب : انها تمثل حالاً امام الله الديان الموجود في كل مكان لتؤدي الحساب عما عملت في حال اتحادها مع الجسد . وتكون في سلطتهِ تعالى . لا كما يقول بعض الفلاسفة الذين تفتنون بهم واوردتم زعمهم " ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم على طرق مختلفة " . فان هذا متعلق بمشيئة الله وسلطة التدبير العادل . فيضع النفس اما في السماء محل السعادة الابدية اذا كانت خالية من كل خطيئة او معصية . اما في جهنم محل العذاب الابدي اذا مات الانسان وهو اثيم بخطيئة ميتة او معصية بالغة لشريعة الله ولم ينل المغفرة عنها قبل موته بالتوبة الصادقة . واما في المطهر الى زمن محدود يعرفهُ الله وحدهُ اذا مات الانسان وعليهِ بعض زلاّت او مخالفات عرضية لوصايا الله ولم يفز عنها قبل الموت . لانهُ لا يدخلها (السماء) شيء نجس (رؤيا ٢١ : ٢٧) . وهذا التعليم يبرهنهُ العقل فضلاً عن الايمان . لانهُ ليس من العدل الالهي ان الرجل المنطع بالشنع الخطايا المرتكب لكثير من الآثام وقد يكون معزّزاً مكرّماً متلذذاً غنياً في دنياهُ يرحل من هذه الحياة دون ان يلقى بعد الموت جزاء ما جنت يداهُ من الشر كما انهُ ليس من العدل الالهي انَّ البار الطاهر العادل المحب لقريبهِ الحافظ لشريعة الله ولحقوق الناس وكثيراً ما يكون مجهولاً مظلوماً مبتلى بمصائب متنوعة يرحل دون ان يجازى بعد الموت على ما قدّمهُ من الخير والبرّ في ايام حياتهِ

"ولا يخيلنَّ المقتطف ان النفس توضع في المكان كالجسم . لان الروح البسيطة لا اجزاء لها ولا طول ولا عرض ولا يمين ولا شمال فلا تشغل المكان كما تشغلهُ المادة . فنفسك يا هذا في كلها في جسمك وكلها في كل جزء من جسمك . فلا تقطع ولا تنقص اذا قطعت يدك او رجلك طالما جسمك هو في الاستعداد اللازم لحفظ اتحاد النفس بهِ . لكن متى فقدت

الشروط لحفظ هذا الاتحاد فتنفصل النفس ، وبما ان النفس هي غير مادية فلا تتلاشى بالانحلال كالاجسام لان لا اجزاء فيها قابلة للانحلال . ولا تعود الى العدم لان الله الذي خلقها ويقدر ان يعدمها الوجود يريد حفظها ليجازيها التي اعمالها ان صالحة بالخير اي بالسعادة وان طالحة بالشر اي بالعذاب "

انتهى كلام حضرة الكاتب وخلاصتهُ ان نفس الانسان يخلقها الله من لا شيء حالما يتم تلقيح البيضة التي يتكوّن منها جنين الانسان وفي تلك اللحظة عينها تحلُّ هذه النفس في البيضة الملقحة فتصير انساناً ذا نفس خالدة . وهذه النفس لا تخرج الى حيز العمل الاَّ بعد ان تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال وحالما تخرج من الجسد تمثل امام الله الديان لتؤدي الحساب عما عملت في حال اتحادها بالجسد فيضعها اما في السماء او في جهنم او في المطهر

ولم يبيّن لنا حضرتهُ ماذا يصيب نفوس البويضات التي تتلقح ثم لا يتكوّن منها جنين كامل او يتكوّن الجنين ويسقط من غير ان يعمل عملاً يثاب عليهِ او يعاقب ، ولا بيّن مقدار زمن الحساب لانهُ يموت في كل دقيقة من الزمان اكثر من مئة انسان وقد يموت الوف في الدقيقة الواحدة كما اذا خربت المدن بالزلازل وغرقت السفن في البحار وحصدت النفوس في الحروب . ثم هل يستطيع الكاتب ان يورد دليلاً كتابياً على ان الله يحاسب هذه النفوس كلها في الدقيقة التي تخرج فيها من اجسادها وفي الكتاب نصوص على ان الحساب يكون في انقضاء العالم وكذلك لم يبين ما يصيب الناس الذين لا يعتقدون معتقدهُ من اهالي الصين والهند واليابان وبين المسلمين والروم والبروتستانت هل تحشر نفوس هؤلاء كلهم في جهنم النار كما يعتقد ابناء طائفتهِ او يسمح لطائفة بدخول السماء ولا ما هي ادلتهُ على ذلك ولا ما اذا كانت النفس تشعر بعد خروجها من الجسد وقد قال ان الجسد آلتها للشعور

وليعلم حضرتهُ اننا نسألهُ هذه المسائل عساهُ يعترف معنا بانهُ يجهل اموراً كثيرة كما نجهلها نحن لا لاننا ننكر وجود النفس كما يظن فانا لا ننكر وجود النفس مطلقاً ولكننا لا ندّعي اننا نعرف ما نجهلهُ ويجهلهُ كل احد

قيل ان ولداً قال لامهِ ذات يوم اني استغرب ادعاء فلان الواعظ فقالت لهُ امهُ وما دليل ادعائهِ فقال " انهُ يتكلم عن الله كأنهُ ابن خالتهِ وعن السماء وجهنم كأنهُ قضى عمرهُ فيهما وقاسمهما بالشبر " . ونحن ابن ادعاه ذلك الواعظ من ادعاء بعض الوعاظ فانا سمعنا غير مرة يعظون ورأيناهم يصورون الناس في جهنم رجالاً ونساء وطرق العذاب التي يعذَّبون بها وقد بلغت الدعوى منهم انهم يتهمون بالكفر من يتكلم بالحق ويقول انا نجهل هذه الامور وامثالها